وانقد وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي
خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له
أيها الملك إني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه
وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال من ثقيف وقال له
أيها الملك إنما نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعني به اللات إنما تريد البيت
الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا بالمغمس مات أبو
رغال وهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة
خيله فجمع إليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم إن أبرهة
بعث حناطة الحميري إلى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه أني لم آت لقتال إنما جئت
لأهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له إن الملك أرسلني
إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب
مخلي بينه وبين ما جاء له فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه فهو
بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي إلى الملك وزعم
بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو
نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل أسير بيدي
ملك ينتظر أن يقتله بكرة أو عشيا ولكني سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فإنه صديق لي فأسأله أن يصنع لك عند
الملك ما استطاع من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له إن هذا
سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والجبل والوحوش والطير في رؤوس الجبال وقد
أصاب له الملك مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي وأنا أحب ما يصل إليه من الخير
ثم إن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي
يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤوس الجبال وقد جاءنا غير ناصب لك حربا ولا مخالف
عليك يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما
دخل عليه جلس بين يديه فأقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له
الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن ترد علي مائتي بعير أصابها الملك فقال أبرهة لترجمانه قل له
لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك
لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب أنا رب هذه الإبل وللبيت
رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنع مني فقال له أنت وذاك ثم أمر له بإبله فردت عليه قال محمد بن إسحاق
وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة بعمرو بن معد يكرب بن الديل بن بكر بن
عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن كنانة واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد

هذيل

هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فقال فلما
ردت الإبل على عبد المطلب رجع فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا
عليهم من معرة الجيش إذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا أرجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا • فامنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم إن المرء يمنع • رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب • وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم أبدا محالك
جروا جموع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا • فأمر ما بدا لك

ثم إن عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول
مكة وعبى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من فيل النجاشي بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم ير
مثله في الأرض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عنده منها إلا الفيل الواحد ولذلك قال الله تعالى
ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا وإنما وحد
على هذا التأويل لوفاق رؤوس الآي ويقال نسبهم إلى الفيل الأعظم فأخذ نفيل [illegible] فقالوا أقبل نفيل إلى الفيل
الأعظم فأخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه
فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم
فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى المشرق
ففعل مثل ذلك فوجهوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم إن نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل فأرسل الله
تعالى عليهم طيرا أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره
أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك وليس
كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل متفرقة من ها هنا وها هنا قال ابن عباس كان لها خراطيم
كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال
الربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها
الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل [illegible] كما قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة
وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل إلا خرج من الجانب الآخر
وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه فلما رأت
الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)